

في راهنية الغيرية تعايش إنساني أم تصادم هوياتي *In The Urgency of Otherness Human Coexistence Or Identity collision*

رزاق كريمة Rezak karima

University of Mohamed Ben Ahmed - Oran 2

Research Unit in Human Sciences: Philosophical, Social , and Human Studies - University of

Mohamed Ben Ahmed – Oran2

rezak.karima@univ-oran2.dz

[DOI:10.46315/1714-015-001-004](https://doi.org/10.46315/1714-015-001-004)

الإرسال: 2025/07/19 القبول: 2025/10/26 النشر: 2026/01/16

**

ملخص:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة في بنية العلاقات الإنسانية نتيجة لتصادم الحروب والصراعات بين الجماعات الإنسانية فمن الصراعات الإثنية والدينية إلى الحروب التكنولوجية والبيولوجية مما يوحي أن البشرية تقف على مفترق طرق حاسم إما التعايش رغم الاختلاف وإما التصادم الذي قد يقود إلى الفناء المشترك في ظل هذا الواقع المأزوم يعود طرح سؤال العيش المشترك لا كتناظر طوباوي كأفق إنساني وفلسفي يعيد التفكير في طبيعة العلاقة بين الأنا والغير في ظل واقع يفرض نفسه بعنف، مما يجعلنا نتساءل من جديد على حقيقة "العيش المشترك" ولماذا يبرز كرؤيا مشوهة ومشروع معطل؟ يحاول رسم ملامح التفاعل الإنساني خارج ثنائية السلام المطلق والحرب الدائمة، إذا لا ينبغي تصور العيش المشترك كحالة من السلام الدائم لأن النزاع والصراع جزء من صميم الواقع الإنساني لذا لا بد من إيجاد صيغ عادلة منصفة ومشاركة تنظم علاقة الذات بالغير، وتقبل التوتر والنزاع كجزء بنيوي من هذا الواقع وتسعى لتديبه بدلاً من إنكاره أو افتراض زواله.

الكلمات المفتاحية: العيش المشترك، الأنا، الآخر، الصراع، الاعتراف.

Abstract:

The contemporary world is witnessing profound shifts in human relations as conflicts intensify among groups defined by ethnic, religious, and cultural particularities. These tensions are compounded by rapid technological and biological transformations that have introduced new and unprecedented forms of confrontation. In this context, coexistence re-emerges as a philosophical imperative that seeks to redefine human interaction beyond the binary of absolute peace and perpetual war.

Coexistence is not imagined as a utopian state free of tension, but as a deliberate and reflective endeavour to manage inevitable frictions within human life. If humanity fails to share its common goods and allows the logic of war to dominate, a flourishing future becomes uncertain. Thinking about coexistence thus requires acknowledging conflict as inherent to the human condition, reimagining relations between self and other, and shaping shared spaces that transcend rigid identity boundaries without erasing difference.

Keywords: Self, Other, Conflict, Recognition, Hatred.

**

- مقدمة:

يشهد العالم اليوم تحولات عميقة في طبيعة العلاقات الإنسانية جراء تصاعد التوترات والحروب بين الجماعات البشرية بشكل غير مسبوق، فمن الصراعات الإثنية والدينية إلى الحروب التكنولوجية والبيولوجية ومن التطرف الهوياتي إلى أزمات الهجرة واللجوء، يبدو أن البشرية تقف على مفترق طرق حاسم إما التعايش رغم الاختلاف وإما التصادم الذي قد يقود إلى الفناء المشترك انطلاقاً من الوضع الإنساني الراهن تحاول هذه الدراسة استكشاف سبل التعايش وشروط إمكانه في ظل واقع يفرض نفسه بعنف وهنا تبرز أهمية العيش المشترك لا كتنظير فلسفي طوباوي بل كضرورة وجودية تفرضها طبيعة عالمنا وفي هذا السياق تصبح الغيرية رهان وجودي على إمكانية بناء علاقة بين الذات والآخر تسمح بالتعايش رغم تصادم الهويات والمصالح. إن مقارنة مفهوم الغيرية عبر مساراته الفلسفية المختلفة - على أهميته - ليس محور اشتغالنا هنا بل تتخذ هذه الدراسة من الغيرية منطلقاً وإطاراً تحليلياً لفهم إمكان العيش المشترك في عالم متعدد. مما يجعلنا نتساءل من جديد على حقيقة "العيش المشترك" ولماذا يبرز كرفياً مشوهة ومشروع معطل؟ يؤكد التاريخ البشري أن الحروب والصراعات كانت ولا تزال الأكثر حضوراً في الحياة البشرية وعليه فإن التعايش السلمي ليس قاعدة أو معياراً للحياة الدولية، وإذا كان من المهم اليوم إعادة فهم رهان العيش المشترك فهل يمكن أن يكون تجنب الفناء المشترك هو صورة جديدة من صور التعايش الممكن؟ وهل يمكن أن تكون الحروب القادمة هي رهان المشترك الإنساني الجديد؟

تروم هذه الدراسة بلورة أفق جديد ومغاير للتفاعل بين الذات والآخر تأسيساً لعلاقة إنسانية متوازنة تُعيد التفكير في إمكانات اللقاء والتفاعل التي تتجاوز ثنائية السلام المطلق والحرب الدائمة وفق منهج تحليلي-تأويلي لا يقتصر على مجرد التوصيف بل يكشف عن الآليات التي تشكل العلاقات بين الأفراد ويقبل التوتر والصراع كجزء من الواقع الإنساني ويسعى لتدبيره بدلاً من إنكاره أو الاستسلام له مما يساهم في بلورة أشكال اللقاء الممكن.

1- الإنسان والغير: من غريزة البقاء إلى أخلاقيات الاقتسام

إن الوعي بالذات هو ما يُميز الحياة البشرية وهذا الوعي يستدعي الانتباه لوجود الآخر و الاعتراف به شريكاً في الحياة والوجود بشكل عام فالوجود الإنساني لا يستقيم إلا ضمن جماعة. لا تعد الحياة في مجتمع ما خياراً من الخيارات فقد "صنع الإنسان لكي يصبح اجتماعياً"، وتحقيقا لمقولة روسو يشهد التاريخ البشري أن المصلحة العامة أو المشتركة كانت حافزاً أساسياً لتعارف الشعوب بل وتعايشها مع الأمر الذي انبثق منه المجتمع الإنساني في صورته البدائية فمن حياة البساطة إلى التحضر ومن الانتقال والترحال إلى الاستقرار وصولاً لتشييد الحضارة، ولأن الإنسان كما يقول التوحيد ناقص بالحاجة تام بالطلب فالإنسانية تسعى لأن تكون تامة الصورة غير ناقصة أو مبتورة من هنا وجب عليها أن تعوض ما فيها من نقائص بالاستلهاً من الآخر متى دعت

الحاجة إلى ذلك وهذا معنى قول روسو إذا لم تكن لأحدنا أي حاجة للآخرين فلن نفكر مطلقاً بالتوحد معهم" (تودوروف، 2009، ص31) وتكمن عبقرية الإنسان في أنه حوّل "حياته من عدم الإيمان والخوف والصراع إلى الوحدة والتقارب من الآخر بفضل اختراع جديد تمثل في القانون الذي يجب أن يحترم" (أبو طالب، ص ص 24، 25)، وقد تساءل هوبز عن حاجة المرء للعيش في جماعة وعن ضرورة العيش في مجتمع وقد صرح في كتاباته أن الخروج من حالة الكل ضد الكل دفع البشر لصنع إنسان اصطناعي تمثل في الدولة غير أنه لاحقاً وتحت اسم هذه الدولة نفسها قامت الحروب ولا تزال وأين كان الدافع وراء هذا الاجتماع فإن الحقيقة أننا نعيش في مجتمع لأنه لا يوجد بالنسبة لنا شكل آخر لوجود ممكن، فمعادلة الحياة المشتركة إذن قائمة على ثنائية التعايش لا يقتضي محبة الآخر بالضرورة بقدر ما يقتضي وعياً يقظاً قائم على المسؤولية وفي غيابها تنقلب المدينة لمجرد فضاء يحكمه قانون الفوضى والعشوائية.

لقد طرحت إشكالية الأنا والآخر ومسألة التعايش مع الغير . الدخيل ، الغريب والمختلف.. نقاشات امتدت من حنا ارندت ليفيناس ريكور دريدا جوديت بتلر وغيرهم وفي تعريف حنا ارندت للتعايش تقول :أن نعيش معا في العالم إنما يعني بشكل جوهري أن عالماً من الأشياء يوجد بين أولئك الذين يتخذونه عالمهم بشكل مشترك مثلما تقع مائدة بين أولئك الذين يوجدون حولها ، إن العالم مثل أي بينية In-Between هو يربط ويفصل بين الناس في الوقت نفسه." (المسكيني ، ص 41) لا تعني ارندت بالعالم الأشياء المادية والجامدة فقط بل تقصد كل ما يمكننا أن ننتجه ونشترك فيك كبشر بما في ذلك اللغة والقوانين والثقافة والفن والذكريات الخ وبناء على ذلك فإن العالم يجمع بيننا كأفراد لأننا نعيش فيه ونتقاسمه كفضاء للفعل والتواصل من جهة ومن جهة ثانية هو يفصلنا لأن لكل واحد منا زاويته الخاصة وموقعه المختلف..غير أن عالم اليوم يكشف عن مفارقات مريبة في ظل هيمنة أحادية تغذيها الصراعات والأنانية وحب الذات والحقيقة أن الصراع الأنا والآخر هو صراع وجودي تجسده مقولة في البدء كان القتل ..والتي تصور شكل الصراع بين هابيل وقابيل وتطرحة كنموذج قوي نقرأ من خلاله علاقة الذات بالآخر ، إذ جاء في صورة المائدة : "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين 27 لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين 28" صدق الله العظيم .وبالوقوف عند قول قابيل "لأقتلنك" ورد هابيل " ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك" نجد أن هذه الآية جسدت لنا أول شكل من أشكال الصراع الإنساني في التاريخ وهو في الحقيقة ليس صراعاً بين أخوين فحسب بل صدام بين ذات (قابيل) وآخر (هابيل) ، قابيل رأى في أخيه تهديداً له وفي لفظ "لأقتلنك" تتجلى بوضوح

لحظة نفي الغير وهي هذه لحظة فاصلة في فهمنا لطبيعة العنف الإنساني وتوضح لنا كيف يكون العجز عن الاعتراف بالغير كذات مستقلة هو سببا رئيسيا في نشأة الصراع، من ناحية ثانية يبدو جليا أن لحظة القتل والصراع ليست لحظة عابرة بل هي جزء من الطبيعة البشرية، يضاف إلى ذلك أن الآية لم تقدم لنا تسوية للموقف بل أنهت النزاع بالقتل وهذا دلالة على وجود وحتمية الصراع ولا نهائيته أيضا، ومع ذلك جاء رد هابيل ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك" كتعبير عن لحظة وعي أخلاقي وإرادي ترفض مجابهة العنف بالعنف وهذا ينقلنا إلى مستوى آخر من الفهم قائم على أن الصراع لم يكن بين طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف بل بين إرادتين اختارت إحدهما القتل والعنف والثانية قررت رفضه وكبحه . وبذلك أصبح القتل الأول تأسيسا رمزيا للصراع الإنساني وكل صراع لاحق لا يغدو سوى تكرارا لصراع قابيل وهابيل بصيغ مختلفة وذرائع متباينة ومادام الصراع في مطلقته هو قانون الحياة لن يكون محور تساؤلنا هو كيف يمكن أن نتقاسم الوجود في سلام بل كيف يمكن أن نكون جديرين بالبقاء فإذا كانت الحياة المشتركة قدرا لا بد أن يكون البقاء اقتدارا.

2- الغير والصراع الدولي : حين يتحول الاختلاف إلى آلة حرب

إن الإشكال المحوري في علاقة الأنا بالغير مرتبط بكيفية تحول التنوع والاختلاف من غنى إنساني وإمكان وجودي إلى رمز للهيمنة والسيطرة أين يتم تشخيص الغير لا كشريك في الوجود بل بوصفه عدوا وتهديدا ووسيلة لتبرير منطق الحرب والعدوان وعض أن يكون الاختلاف فضاء للتعدد والتنوع الإنساني ينقلب إلى ذريعة رمزية للعنف ويرسم صورا مشوهة للغير بوصفه الآخر الذي لا يطاق بلغة جوليا كريستيفا. إن هذا التوظيف العنيف لمبدأ الاختلاف يبين بوضوح أن الغيرية لم تدرك كقيمة على الأقل سياسيا إذ تم إفراغها من معناها الأخلاقي وتوظيفها كألية للهيمنة بشكل براغماتي محض.

لا يمكن الحديث عن جدلية الأنا والآخر وعن طبيعة الصراع المهيمن من دون الإشارة إلى خصومة حضارية طويلة بين الشرق والغرب أو الـ "نحن" والـ "هم" بلغة إدوارد سعيد وقد عملت مقولات كصدام الحضارات ونهاية التاريخ على تأجيج مثل مظاهر الصراع الذي بلغ ذروته مع أحداث 11 سبتمبر التي شكلت انتصارا لهنتجتون ولنظريته الصدامية وهذا ما جسدهته الخطابات الجيوسياسية في محاولتها إعادة رسم وتشكيل لخريطة العالم على خلفية " معايير ثقافية-صراعية حيث يُعاد تعريف الحقل الدولي ك ميدان للمواجهة الحتمية بين كيانات ثقافية متصارعة لا كفضاء للقاء.. (Huntington, 1996)

لقد كان انهيار البرجين آنذاك ضربة عنيفة " للفضاء العمومي الدولي " وأعطت لنظرية صدام الحضارات شيئا من المصدقية وقدمت ذريعة لغزو العراق بل أكثر من ذلك في تحد سافر أعلنت إدارة بوش على الملأ إستراتيجيتها للأمن القومي والتي أعلنت من خلالها حقها في اللجوء إلى

القوة للقضاء على أي تحد للهيمنة الأمريكية على العالم وكأن "أمن أمريكا القومي هو كل ما يتعلق بالحفاظ على الأمريكيين أحياء وإلى الجحيم بقية العالم..ولكن ذلك الطريق سيوصل الكثير من العالم إلى الجحيم" (بارنيت، 2021، ص 324) لا يختلف الوضع في غزة ولا يحدد عن المبدأ العام القائم على نزع صفة الإنسانية عن الآخر حتى يسهل تدميره وإبادته وهذا ما حملته تصريح نتيا هو حول ضرورة قتل الفلسطينيين باعتبارهم حيوانات تستحق الإبادة.

إن هذا العنف الموجه ضد الآخر يعبر بصدق عن عجز هذه الذات عن التعايش مع كل اختلاف أو حضور يكشف هشاشتها وعليه فإن تحويل أي اختلاف إلى آلة حرب يكشف عن نوع من الإفلاس الأخلاقي وغياب للطرح العقلاني الأمر الذي يستدعي بلورة تصور فلسفي سياسي جديد وجاد في العلاقات الدولية يتجاوز منطق السيطرة والقوة نحو معادلة الاعتراف وهو أمر لا ينشأ مطلقاً من تصورات مثالية بإمكانية تحقق ألفة وتقارب ثقافي شامل بقدر ما يتأسس على وعي نقدي يكشف أن التقارب المعرفي بين الشعوب لم يكن على الدوام سبيلاً آمناً لتحقيق التفاهم وتفادي الصراع فهذه الحروب اليوم تبدو أكثر تنظيماً وقرأةً للسلوك الإنساني ومعرفةً بنفسية من تتم محاربتها، فكثيراً ما تبقى العداوة تحت السطح تنتظر لحظة الانفجار كلما اهتزت أو غابت مفاتيح التفاهم ولأن التاريخ في النهاية صناعة بشرية تكاد تكون مقسومة بالتساوي بين التواصل والمآسي أيضاً تبقى النزعة التي تراهن على الغيرية المتصالحة هشة ومعطوبة لم تدعم بأسس بنيوية أعمق من مجرد التعايش الظاهري إذ تلعب الإيديولوجيات اليوم دوراً محورياً في خلق بيئة تغذي أشكال الصراع بما يخدم مصالح الرأسمالية المتوحشة ويبرر سلوك الدول القومي وسياساتها العدوانية، وفي هذا الشأن يميز فتحي التريكي بين ما يصفه بـ "العنف المقتن" و"العنف خارج القانون" مؤكداً " أن كل البلدان تحاول أن تقنن وسائل عنفها، فعلى الصعيد العالمي يتم الآن تبرير الحروب بواسطة إيديولوجيا قائمة على محاربة الإرهاب.. هذا العنف الجديد الذي خرج عن القوانين الضابطة لاستعمال العنف والذي يصبو إلى تقويض النظام وإقامة التنظيم الكلياني " (التريكي، 2015، ص 13). فهو عنف لا يخضع لقوانين الضبط التقليدية وهو يقصي التعدد ويسع لإفراغ المجال العام من إمكانية الاختلاف، غير أنه وإن بدا فعلاً هداماً فهو كذلك لقاء مع الآخر وإن بني على الرفض والعداوة فهو يكشف عن حضور "لا يمكن تجاوزه أو محوه مما يجعل العنف شكلاً (levinas,1996) من أشكال العلاقة وإن كانت مأزومة تؤسس لمواجهة أكثر مما تؤسس لتفاهم " (، فالعلاقة مع الغير حتى وإن بنيت على العنف أو الصراع تبقى علاقة حتى وإن كانت مشوهة أو مهزومة وبهذا المعنى تتشكل أمامنا "صورة للعيش مع العنيف" ترى في الحرب ضرورة ومعياراً وجودياً حقيقياً ومن خلالها فقط تتجسد الحرية التي لا تدرك إلا من خلال الصراع والتضحية. فالعنف كخطر مشترك تلعب دوراً إيجابياً في توحيد

الشعوب وإعادة تنظيمها وعليه لا يمكن فهم العيش المشترك العنيف كتناقض بل كإمكانية جدلية يكون فيها التوتر والصراع سبيلا لا قطيعة وإن كان يؤخذ على هذا القول عدم اعترافه بوجود بدائل ممكنة للحرب كحل النزاعات والاحتكام إلى القوانين الدولية والإنسانية التي كان من الممكن أن تجنب البشرية كلفة العنف والدمار .

3- خطاب الكراهية والتعايش الصعب :

أعلن كانط في مرات عديدة " أن أكبر شر يصيب الشعوب المتمدنة ناجم عن الحرب لا بمعنى الحرب الحاضرة أو الماضية بل بمعنى الاستعداد الدائم للحرب القادمة " ولأجل ذلك كتب كانط مشروع السلام الدائم الذي يخاطب فيه المجتمع الإنساني عامة داعيا إياه إلى إرساء سلم عالمي لا يكون فيه للحرب حضور أو وجود، فالحرب بكل ما فيها هي معادلة مضادة للإنسان وللأخلاق والقيم . وهذا يوجب على الإنسانية القضاء على أسبابها ودواعيها من أجل سلام عالمي دائم . لكن قراءة للوضع السياسي والثقافي والاجتماعي الحالي من شأنها أن تقيض حدة التفاؤل الكانطي، لأنه لم يشهد مآسي الحربين العالميتين ولم يعايش زمن القنابل النووية ولا تقسيم دولنا العربية وإعدام حكامها ولم يشهد مجازر الكيان الصهيوني في غزة . إن فظاعة مماثلة لكفيلة بزعزعة يقيننا بمقولة العيش المشترك ونظرية الحوار وتقبل الآخر وبغض النظر عن كونها طرح عاقل يعبر عن رغبة في التعايش والتلاقي والتبادل والتفاهم أيضا بين الشعوب إلا أننا سنراها دائما محاولة لتخدير وعينا كشعوب مغلوبة. كما أن التوظيف الإيديولوجي والسياسي لعبارات العيش المشترك بطريقة مبتذلة حالت دون تحقيقه وأسست لخطاب مناهض يتغذى على الانفعالات الإنسانية وهو خطاب الكراهية فهل يحق للشعوب أن تكره ؟.

يشكل خطاب الكراهية اليوم تهديدا مباشرا لفكرة العيش معا باعتباره حربا نفسية تستهدف السلوك الاجتماعي وتحول العنف الرمزي إلى عقيدة قبل أن تصبح سلوكاً عدوانياً متطرفاً يتغذى على مشاعر الاستياء والرغبة في الانتقام وفي السياق الفلسفي تفهم الكراهية كشعور قوي مقصود وغير عقلاني يتغذى على الازدراء والعداوة وتصوير للتفرقة وانعدام التسامح تجاه الآخر ورغبتنا في تدمير حضوره أو تعويضه وهي كما عبر عنها أرسطو رغبة في إبادة الكائن المكروه، تقوم صناعة الكراهية على نماذج مختلفة ومستويات متباينة وإن كانت تشترك في تشكيل وترسيخ وعي عدائي يستثمر في سياقات إيديولوجية أو سلطوية منها ما هو مرتبط بإشغال فتيل الحروب بين الدول، ومنها ما هو متعلق بنشر صراعات داخل البلد الواحد وتغذية أسباب الكراهية والفرقة بين أبنائه باسم العرق أو الدين . يهدف إثارة التّعرات المذهبية لتعزيز صدى الفتن والصراعات التي قد تصل إلى حد الحروب الأهلية . ولا تخفى جهود الغرب لتشويه صورة الإنسان العربي من خلال وسائل إعلامها مما أدى لخلق ظاهرة الإسلاموفوبيا هذه الظاهرة التي لقيت تصديقا بعد الأحداث العنيفة والدامية التي عرفتها المنطقة العربية والتي صورت الإنسان العربي كإرهابي وقاتل متطرف

،ومن هذا المنظور كان الكذب وتزوير الحقائق والتلاعب بالعقول ونشر الوعي الزائف أحد أهم إستراتيجيات صناعة الكراهية وتشهد صفحات التاريخ عن الجرائم التي ارتكبتها الأوروبيون البيض بحق السكان الأصليين في القارة الأمريكية وكيف تم التعامل مع الهنود الحمر معاملة لا إنسانية مشبعة بالكراهية كانت تدشيننا لبداية حروب الإبادة.. وصولاً لما يحدث في غزة اليوم من حرب تبيد المكان قبل الإنسان ولا يزال هذا الإرهاب الأمريكي يستبيح أراضينا العربية ويعبث بأماكن عديدة في العالم بحثاً عن هنود حمر جدد .

يشهد الفضاء العمومي اليوم تصاعدا لافتا لخطابات تسعى لمواجهة خطاب الكره والرفض وتقويض أركانه تحت شعار " الإنسانية أرقى دائما من المخطئين في حقها " غير أنه ليس من اليسير على حد قول المسكيني أن " تستغني الإنسانية عن جرعات معينة من الكراهية لاختراع قدر معين من السعادة" فالكره - حسب انفعال ثقافي لا يمكن فهمه بمعزل عن مضمونه التاريخي " فنحن نكره داخل مخيال ما ، داخل مساحة أخلاقية وحسب آداب معطاة سلفا.(المسكيني، ص 34) ، فغالبا ما تحمل الكراهية توقيعا ثقافيا أو قوميا ..لذا فالضحية لا تحتاج إلى تبرير كراهيتها أمام ضمير الإنسانية فالكراهية من هذا المنظور ليست عاطفة منحطة كما صنفها الأخلاق التقليدية، بل نتاج لتراكم الصدمات وغياب لأدنى درجات الإنصاف وإذا كان من الصعب تصور وجود عالم خال من الكراهية فإنه يستحيل أيضا على الإنسان أن يحب جلاده أو أن يتقرب بالود لمن أهانه وقضا على حلمه مستقبلة أو من دمر أرضه واستباح عرضه وبناء على ذلك فإن الحب لا يُفرض عل الضحية كالإزام أخلاقي لأنه يفوق قدرتها ومن العبث كذلك أن ننتظر من الضحية تقديم المغفرة قبل أن يُقدّم لها الاعتراف لذلك لن يكون طرح أخلاقيات التسامح والمحبة أمرا مشروعا إلا إذا تحققت شروطه من اعتراف وكرامة وعدالة ومسؤولية. فالتعايش ليس مجرد مساكنة أو تقاسم لنفس الفضاء الجغرافي بقدر ما هو طرح أخلاقي وسياسي يسعى لإعادة التفكير في أسس الاعتراف بالآخر من خلال فهم أعمق لمعاناة الذاكرة الجمعية وفي انعدام ذلك يصعب الحديث عن أي تعايش فعليّ وفي سياق متصل يشير بول ريكور إلى ضرورة التمييز بين الذاكرة الحافظة والذاكرة الناقدة مؤكدا على أهمية النسيان العادل من أجل إعادة بناء علاقات سليمة مع الآخر " (Ricoeur.2004) ، ففي النهاية حتى العدالة الانتقالية يستحيل أن تتحقق في غياب نوع من المصالحة الرمزية التي تعيد الاعتبار للضحية ولا تجعل من الغير عدوا أبديا. كما لا يخفى علينا الدور الذي تضطلع به الفلسفة في هذا المقام كخطاب نقدي وتحليلي يسعى لتفكيك وتجاوز خطاب الكراهية واستبداله بلغة جديدة تفتح أفقا لإتيقا مغايرة ترى في الآخر إمكانا للتلاقي ومساحة لفهم مشترك وليس صراعا محتوما فالعالم المشترك كما أشارت حنا أرندت يستحيل أن يبني إلا حين يُدرك أن لا أحد يستطيع العيش وحده (Arendt.1958.p p 22-24)

4- التعايش كتحد فلسفي :

في ظل التحولات التي يشهدها العالم اليوم لم يعد الخطاب التقليدي حول الغيرية أو التعارف أو التسامح كافيا خاصة عندما يفشل هذا النوع من الخطاب أمام تحديات واقعية تكشف قصوره عن تجاوز التناقض بين الموقف الفكري والسلوك العملي سيما عندما يتعلق الأمر بقضايا إنسانية ومصيرية ولنا في القضية الفلسطينية وأحداث غزة الأخيرة خير دليل أين نجد إصرار على " تصوير الفلسطيني باعتباره مشكلة وليس كـشعب له قضية وهذا امتداد لمنطق استشراقي يرى غير الأوروبي كائن فائض عن الحاجة " (إدوارد .1982.ص 102). وعليه ليست كل دعوة للتعايش تعبيراً عن إمكان إنساني فعلي للتلاقي وهذا ما جعلنا بحاجة إلى تبني رؤية فلسفية تسهم في تأسيس آليات حقيقية للتعايش لأن الإشكال لا يكمن في فهم ما يجب أن يكون بل في مسألة كيف يمكن أن يكون العيش مع الآخر في سلام أمراً ممكناً. وهنا تكتسب الأطروحات الما بعد استعمارية أهميتها وبشكل خاص عند إدوارد سعيد الذي دعا لضرورة تفكيك وتجاوز أشكال التمثيل الأحادي التي تُصدر الآخر عبر صور نمطية مؤطرة بخيال الذات المهيمنة واستبدال ذلك بأفق تأويلي أكثر انفتاحاً على إمكانات اللقاء والاعتراف والإصغاء للآخر خارج أنماط التشيؤ والاستعلاء . وفي انسجام مع هذا التوجه ناد علي حرب بهدم الأنساق الخطابية المغلقة وتفكيك آليات إنتاج المعنى في بعده المطلق مما يتيح تغييراً في أنماط التواصل القائمة على في الإقصاء والتمركز لصالح أشكال جديدة من اللقاء ترى في الآخر فاعلاً لا موضوعاً للهيمنة، وقد رأى في ذلك إمكاناً حقيقياً لإدارة الشأن العام إذ يصرح في كتابه المصالح والمصائر أن المجتمعات اليوم تنخرط في واقع كوني وأفق حضاري مُعولم تتشابك فيه الكوارث والأزمات.. وليست كلها أزمات مادية بقدر ما هي أزمات في هندسة الروابط الإنسانية وتديير الاختلاف .. فعالم اليوم محكوم بمفاهيم مغايرة تفرض أنماطاً جديدة من العيش المشترك .. و الرهان الحقيقي لصنع حياة سوية ومشاركة ليس الانغلاق على الذات والاحتماء بالخوف بل في التحرر من مخاوفنا والانخراط في الحياة كفعل شراكة ،فالحياة السوية تقام على أساس الاعتراف والاختلاف والتفاوض بطريقة تعيد صياغة المصالح والمصائر، والحل يستلزم تغيير " هندسة المجال العام وتبديل أشكال التواصل وتفكيك البنى الرمزية السائدة وتحرير العقول من التمثلات المغلقة والعقائد الجامدة والمطلقات المعلنة والمقولات الماهوية (حرب .2010.ص12-13) وعليه فإن فجوه التحدي الفلسفي يقتضي إعادة ضبط لطبيعة العلاقة بين الأنا والآخر بعيداً عن منطق الهيمنة وطمس الاختلاف لأن التعايش لا يكون ممكناً إلا إذا تأسس على مبدأ الاعتراف بهشاشة الكائن الإنساني. فالهشاشة معيار ندرك من خلاله مدى تشابك المصائر البشرية مع بعضها فالمصير لا يبني إلا بالشراكة.

لقد كشفت جائحة كورونا هذه الحقيقة إذ لم يعد بإمكان الإنسان أن يحتفي بنفسه لقد كانت سلامته مرهونة بسلامة الجميع فالإنسان لا يملك مصيره وحده وهذا جوهر التعايش أي

رؤية الغير كشريك في المصير وقد قدمت الجائحة درساً أخلاقياً يضعنا أمام خيارين إما النجاة معا أو الموت فرادى؟؟ وأن التعايش الفعلي لا يكون بتجنب الصراع بل هو تعايش مع الصراع نفسه وكل طرح لفكرة العيش معا بعيدا عن هذا الإطار هو محض سذاجة لأن رهان الغيرية اليوم لا يكمن في تجنب الصراع بل في إعادة تأطيره ضمن أفق يتسع للجميع، أين يُصبح العيش مع الآخر، رغم الصدام فرصة لبناء الإنسانية المشتركة لا ساحة لتفكيكها. ولعلّ أهم ما يمكن للفلسفة أن تفعله هو أن تذكّرنا بأننا لا نكون بشراً حقاً إلا في مواجهة الآخر ومن خلاله ومعه .

*- خاتمة :

إن التفكير في رهانات الغيرية اليوم ليس مجرد سؤال فلسفي ولا طرح أخلاقي مثالي بقدر ما هو سؤال وجودي فمع تزايد حدة الصراع وتصاعد موجات الهويات المتطرفة تجعل من الآخر عدواً أو مرآة مشوهة عن الأنا إن هذا التصادم الهوياتي يُلغم مساحات التقارب ويجعل من أي اختلاف تهديداً لا إمكاناً لذلك أضحي سؤال الغيرية رهانا يحدد مصير التعايش الإنساني ذاته، واختبار حقيقي للإنسانية، فليس الإشكال في حضور الآخر لا في كيفية تشكل حضوره هل هو حضور يبني على القرب والتعايش أم على الصدام والحروب؟ لقد بيّن التحليل أن الصراع جزء من البنية الأصلية للوجود الإنساني، ولكنه ليس قدراً حتمياً بل مجالاً يمكن إعادة تشكيله وتوجيهه فالعيش المشترك لا يبني على النوايا الحسنة بل يتطلب وعياً عميقاً يدرك أن الشر مهما استفحل والاختلاف مهما كثر واحتمد والصراع مهما تفاقم وانفجر في أعنى صوره لا يمكن أن يقوض إمكانات التعايش الإنساني أو يفني أسسه ليبقى التحدي ليس إنهاء الصراع أو الهروب منه بل في تدبره وتطوير آليات لإدارة الخلاف والاختلاف لخلق أرضية تتقاسم من خلالها الفضاء الإنساني ففي النهاية لا يحتاج العيش معا للحالين بقدر ما يحتاج للمتفائلين الذين يؤمنون أن الشر مهما كان شكله وطبيعته إنما هو أمر عابر يستحيل عليه تدمير إنسانيتنا .

**

المصادر والمراجع:

- أبو طالب حسن .صوفي . (1995)، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية
بارنيت، توماس ، 2021 ، الحرب والسلام في القرن الواحد والعشرين، ترجمة عبد الكريم ناصيف- القاهرة دار التنوير للنشر والتوزيع.
- تودوروف تزيفيتان (209) - الحياة المشتركة - ترجمة منذر عياشي - مراجعة خليل أحمد خليل - كلمة و المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع
- علي حرب(2010)، المصالح والمصائر - صناعة الحياة المشتركة - دار العربية للعلوم - منشورات الاختلاف.
- سعيد إدوارد - (1978) - الاستشراق : المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة محمد شاهين، القاهرة دار الآداب .
- سعيد إدوارد - (1982) - مسألة فلسطين - ترجمة محمد عناني - القاهرة - مؤسسة الدراسات الفلسطينية

- نعوم تشومسكي. – (2004)- الهيمنة أم البقاء. السعي الأمريكي للسيطرة على العالم -ترجمة سامي الكعكي- بيروت
-دار الكتاب العربي
التركي فتحي (2015) الفلاسفة والحرب. تقديم فرانسوا شاتليه - ترجمة زهير المديني - دار ابن النديم للنشر
والتوزيع – دار الروافد الثقافية – ناشرون
التركي فتحي(2021) – أخلاقيات العيش المشترك – تعريب زهير المديني – مراجعة محمد بن عبد الجليل – ط
1- الدار المتوسطة للنشر
المسكيني, فتحي (2016) - الهجرة إلى الإنسانية- منشورات الاختلاف

Hanna Arendt.(1958)The Human Condition University of Chicago press

Kante .E.Vers la paixperpétuelle -traduction par Jean-François Poirier et Françoise Proust

Martin Heidegger(1986) -Etre et temps – trad de l'allemand Francois Vezin- éditions gallimard .nrf paris

Morin , E(1999) ?les sept Savoirs nécessaires a l'éducation du future .,paris,Seul

.Triki , Fathi(1998)- Philosoper le vivre ensemble – Tunisi–

Levinas,E ,1996,Totality and Infinity,an Essay on Exterority,duquesneUniversity,press

Levinas,E ,1996,Totality and Infinity,an Essay on Exterority,duquesneUniversity,press